تواضع النبي ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله! اتقوا الله واعلموا أن التواضع لله تعالى خلق عظيم من أخلاق النبي ﷺ، ومن تواضع لله تعالى رفعه في الدنيا والآخرة.

والتواضع صفة عظيمة وخلق كريم؛ ولهذا مدح الله المتواضعين فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[1]، أي يمشون في سكينة ووقار متواضعين غير أشرين ولا متكبرين، ولا مرحين، فهم علماء، حلماء، وأصحاب وقار وعفة[2].

والمسلم إذا تواضع رفعه الله في الدنيا والآخرة؛ لقوله ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه**»[3].

وهذا ما يفتح الله به للمسلم قلوب الناس؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه في قلوب الناس منزلة ويرفعه عندهم ويجلُّ مكانه[4]، أما من تكبر على الناس فقد توعده الله بالذل والهوان في الدنيا والآخرة؛ لحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**العزُّ إزاره، والكبرياءُ رداءه فمن ينازعني عذبته**»[5].

* وقد كان النبي ﷺ أعظم الناس تواضعاً، ومن تواضعه ما ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تُسمّى العضباء وكانت لا تُسْبَقُ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سُبِقَتِ العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «**إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**»[6].

ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة فقد كان متواضعاً في دعوته للناس.

* وقد وصف أبو مسعود رضي الله عنه تواضع النبي ﷺ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فكلّمه فجعل ترعُد فرائصُهُ فقال له: «**هوِّن عليك نفسك فإني لستُ بِمَلِكٍ، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**» وزاد الحاكم في روايته عن جرير بن عبد الله: «... **في هذه البطحاء**»، ثم تلى جرير ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[7].

فعلى جميع الناس أن يقتدوا برسول الله ﷺ فقد كان متواضعاً في دعوته مع الناس، فكان يمر بالصبيان

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٣٢٧.

(٣) مسلم ٤/ ٢٠٠١، برقم ٢٥٨٨ .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٤٢.

(٥) مسلم مع النووي ١٦/ ١٧٣، برقم ٢٦٢٠، ولفظه "فمن ينازعني عذبته".

(٦) البخاري مع الفتح ١١/ ٣٤٠، برقم ٦٥٠١ .

(٧) ابن ماجه، برقم ٣٣١٢، والحاكم ٢/ ٤٦٦، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣/ ١٢٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٤٩٧، برقم ١٨٧٦، سورة ق، الآية: ٤٥.

فيسلم عليهم، وتأخذه بيده الأمة فتنطلق به حيث شاءت، وكان في بيته في خدمة أهله، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء، فكان متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم[1]، ﷺ.

* **ومما يدل على تواضعه العظيم ﷺ تفضيله للأنبياء عليهم السلام على نفسه**: فقد قال له رجل: يا خير البرية! فقال النبي ﷺ: «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[2]، وقال ﷺ: «**ما ينبغي لأَحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى**»[3].

ولاشك أنه ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، وسيد الناس أجمعين؛ لقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[4]، وقال ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم، وأَوَّلُ مَن تنشق عنه الأرض، وَأَوَّلُ شافعٍ، وأَوَّلُ مُشفّع**»[5].

* ومن تواضعه ﷺ: أنه لم يكن له بوَّابٌ يحجبه عن الناس[6]، وكان يرقي المرضى ويدعو لهم، ويمسح رأس الصبي ويدعو له[7]، وكان يشفع لأصحابه، ويقول: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»[8]، وقال لأنس رضي الله عنه: «**يا بُنَيَّ**» على سبيل الملاطفة والتواضع[9].

* ومن تواضعه ﷺ: أن رجلاً كان يَقمُّ المسجد أو امرأة سوداء، فماتت أو مات ليلاً، فدفنه الصحابة، ففقدها النبي ﷺ أو فقده، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني**» فكأنهم صغَّروا أمرها أو أمره، فقال: «**دلُّوني على قبرها**» فدلوه فصلى عليها ثم قال: «**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله عز وجل ينوِّرها لهم بصلاتي عليهم**»[10].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً...)[11].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ** ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٢٨-٣٢٩.
(٢) مسلم، برقم ١٣٦٩.
(٣) البخاري، برقم ٤٦٣٠، ومسلم، ٤/ ١٨٤٦، برقم ٢٣٧٦.
(٤) البخاري، برقم ٣٣٤٠ و٣٣٦١ و٤٧١٢، ومسلم، برقم ١٩٤.
(٥) أبو داود برقم ٤٧٦٣ وصححه الألباني، ٣/ ١٣٨.
(٦) البخاري، برقم ١٢٨٣.
(٧) البخاري، برقم ٧٢١٠.
(٨) البخاري، برقم ١٤٣٢، ومسلم، برقم ٢٦٢٧.
(٩) مسلم، برقم ٢١٥١، ٢١٥٢.
(١٠) مسلم، برقم ٩٥٦.
(١١) البخاري بنحوه برقم ٦٠٣٨، والترمذي بلفظه في الشمائل كما تقدم تخريجه.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واعلموا أن التواضع خلق عظيم من أخلاق النبي ﷺ ويجب على العبد المسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ في تواضعه، لقول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْرَاً** ﴾.

فينبغي لكل مسلم أن يتواضع لله تعالى، اقتداءً بنبيه الكريم ﷺ .

هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبد الله كما أمركم الله تعالى بذلك: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1]، وقال النبي ﷺ : «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[2]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[3]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[4]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[5].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٢) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(٤) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(٥) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.